الطريق الأسهل

انزعجت حين أخبرني رئيس القسم بتلك المهمة التي كلفني بها، حاولت أن أعتذر لكنه أصر، هو يقدرني جدًا؛ لذا يتعمد تكليفي بما لا أطيق، سأجري حوارًا مع «عادل كعبورة» واحد من أولئك الذين يطلقون على أنفسهم اسم «كاتب» مع أنه لا يقدم إلا التفاهة، يمطرنا بعدد لا نهائي من الكتب التي تتولى طباعتها دور نشر لا تعرف فرقًا بين الألف و(كوز) الذرة..!

_ لمن تكتب..؟!

ابتسم ابتسامة عريضة، ثم قال:

_ بداية ساخنة، أعلم أنكِ لا تحبينني.

ارتبكت قليلًا، قبل أن أرد:

_ ومن قال ذلك..؟!

_ مقالاتك، الغريب أنكِ تتابعين كل ما أكتب، رغم رفضك له..!

_ سؤال يحيرني كثيرًا، هل أنت مقتنع بما تكتب..؟!

_ إن لم أكن مقتنعًا به، لِمَ أكتبه إذًا..؟

_ تبدو من طريقتك في الحوار ..

_ نعم نعم .. أكملي.

_ تبدو على قدر عالٍ من الثقافة، عفوًا تقتلنا السطحية في مؤلفاتك.

_ تقصدين التفاهة.

احمرّ وجهي حرجًا، ثم استطردت:

_ رواية بالعامية، هذا أسوأ ابتكار عرفناه.

قال وهو يرشف القهوة ببطء، ويعود بظهره إلى الوراء:

_ لكنها لاقت نجاحًا باهرًا، أليس كذلك..؟!

قلت بحدّة:
_ ليس كل ما ينجح، يُخلّد ويبقى أثره.
رد بهدوء مستفز:
_ ومن قال لكِ أنني أبحث عن خلود أو بقاء أثر..؟!
_ تلك رغبة كل كاتب، لم أَرَ كاتبًا يكتب لأهل زمانه فقط.
_ لكنها ليست رغبتي.
انطلقت مني ضحكة ساخرة، قبل أن أقول:
_ أنت مختلف إذًا.
صمت لحظات، ترقرقت في عينية دمعة عابرة، لم أعرف لها محلًا من الإعراب، لكنه قاوم سقوطها، ثم قال:
_ ماذا تعرفين عني؟
_ ما يعرفه الجميع.
_ هل سمعتِ عن «شاكر مسعود» قبل اليوم..؟!
_ من "شاكر مسعود" هذا؟
_ بالطبع لن تسمعي، هو كاتب لم يصدر له سوى كتاب واحد، رواية لا أظن أن أحدًا يذكرها اليوم، ألّف بعدها كتابًا غيَّبه خلف أسوار السجون ثلاث سنوات، ومنها إلى أسوار المقابر، بعد أن تلقى طعنة من سجين آخر.
_ هذه أول مرة أسمع فيها عن ذلك الرجل.
_ ذلك الرجل هو.. جدي
_ ماذا..؟!
_ نعم.. جدي، والآن قولي، أي الحالين ترينه أفضل، من صيّرته أفكاره تحت التراب، أم من جارى تفاهة الواقع فملكه؟
_ لقد كان الرجل صاحب مبدأ، دافع عنه حتى النهاية.

_ أفكار لا تغير واقعًا، لا قيمة لها.
_ وهل هذا مبرر لتقديم محتوى سطحي؟
_ تقصدين محتوى تافه.
_ نعم، تافه، هو كذلك.
_ يبدو أننا لن نلتقي عند نقطة.
_ هذا ما أراه أيضًا.
استأذنت للانصراف وأنا أسخط على رئيسي في العمل الذي لم يقبل اعتذاري عن تلك المقابلة التي أرهقتني، أثناء خروجي من المكان، لفت انتباهي غرفة واسعة مفتوح بابها على مصراعيه، إنها مكتبة ضخمة تتوسط البيت تمامًا، ولجتها، لم أستطع إخفاء انبهاري بما رأيت، نظرت إليه، فقال بهدوء مستفز:
_ أحتفظ بالعمق لنفسي، لكنني لن أُخرج لهذا العالم إلا التافه..!